﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس: 22]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإسلامُ حقٌّ؛ لأنَّه المُنسجمُ مع الفطرة والعقلِ والواقعِ

لمّا قال ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ بيّنَ ظهورَ اهتدائِهم بأنَّهم يُدعَونَ من عِبادَةِ الجَمادِ إلى عِبادَةِ الحَيِّ القَيّومِ، ومِن عِبادَةِ ما لا يَنفَعُ إلى عِبادَةِ مَن منه كُلُّ نَفعٍ[1].

وأيضًا: لمّا أفهَمَ السِّياقُ أنّه قال: (فإنّي اتّبعتهم في عبادة الله) بنَى عليه قولَه: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، جوابًا لمَن يلومُه على ذلك، وترغيبًا فيما اختارَه لنفسِه، وتوبيخًا لمَن يأباه[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَطَرَنِي﴾: أصلُ (فطر) يَدُلُّ على فَتْحِ شَيءٍ وإبرازِه[3]، يقال: فَطَرَ البِئرَ يَفطُرها، فَطْرًا، أي: شَقَّها وحَفَرَها، والفَطْرُ: الخَلْقُ والإنشاء، يُقالُ: فطَرَ اللهُ الخَلْقَ، أي: خَلَقَهُم وأنشأهُم[4]، والفاطِرُ: فاعِلُ الفَطْرِ، وهو الخَلقُ، وفيهِ معنى التَّكوُّنِ سريعًا؛ لأَنَّهُ مُشتقٌّ مِنَ الفَطرِ وهو الشَّقُّ[5]، والفِطْرَةُ: الغَريزَة، والطَّبيعة، والمقصود بقوله: ﴿فَطَرَنِي﴾ في الآية: خَلَقني وابتدأ وجودي.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أحبَّ لهم ما أحبَّ لنفسه، وأبانَ عن صدقه في النّصيحة

لقد أبان الرَّجلُ أنَّه يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، فقال: وما الَّذي يَمنَعُني مِن عبادةِ اللهِ الَّذي خلَقَني مِنَ العَدَم، والذي إليه المرجعُ للجزاء يومَ المعاد، فيُجازيكُم على أعمالكم؛ إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ[6].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 530.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فطر).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (فطر).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 249.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 422، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 153.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### بلاغةُ الوصلِ في الآية:

الرّجلُ المؤمنُ يترقَّى في حوارِ القومِ

جاءت جملةُ: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ عَطْفًا على جُمْلَةِ ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، لتكون مِن عطف الجملة الإنشائيَّة على الجملة الإنشائيَّة، وقد قَصَدَ بهذه الجملة إشعارَهم بأَنَّهُ اتَّبَعَ المُرسَلينَ، وخَلَعَ عِبادَةَ الأَوثانِ، وهذا حينَ أبدى لقومه إيمانَه باللّه وتوحيدَه له[1].

### بلاغةُ الاستفهامِ:

العجبُ مِن انصرافِهم عن شيءٍ تشهدُ به الفطرةُ

الاستفهامُ في قوله: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ مجازيٌّ، فإنَّ (ما) في ﴿وَمَالِيَ﴾ للاستفهام عنِ السّبب على طريق الإنكار، والمعنى: (ما لي مانعٌ مِن جانبي في ترك عبادة الذي فطرني)، أو: (ما لي صارفٌ عن عبادة الذي فطرني)، والاستفهامُ وإن كان ظاهرًا أنّه مُتوجِّه عن سببٍ لنفسِه لقولِه ﴿وَمَالِيَ﴾ لكنَّه لمّا جاءت جملةُ ﴿لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ حالًا مِن ضمير المتكلِّم (الياء)[2] أفاد الحالُ تقييدَ الإنكار بهذه الحالِ، فالإنكارُ إنكارُ تحقُّقِ سببٍ موجبٍ لترك عبادة الذي فطره، والإعراضِ عنها، ويتولَّدُ مِنَ الإنكار توبيخُهم على ترك عبادة اللّه تعالى التي يشهد العقلُ وتُقرُّ الفطرةُ بصحّتها[3]، فإنّه إن انتفى عنه السّببُ الموجبُ لترك عبادة اللّه فلأن يكون منتفيًا عنهم أَوْلَى وأَحْرَى، ففيه إشعارٌ بأنّهم كانوا مُنكِرين عليه الدَّعوَةَ إلى تصديق الرّسل الذين جاؤوا بتوحيد اللّه، فإنّ ذلك يقتضي أنّه سبقهم بما أَمَرَهم به[4].

### بلاغةُ التّعريضِ:

مِن صفاتِ الدّاعي إلى اللّه الفِطنةُ والحِكمةُ

لمّا كان الكلام على طريق المخاطَبة، كان الظّاهر أنْ يُقال: (وما

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 506، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 368.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 368.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 114.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 368.

لكم لا تعبدون الذي فطركم)، ولكنّه صرَف الكلامَ إليه فقال: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، فجاء الكلامُ على طريق التّعريض؛ ليفيد الإنكارَ على سبب ترك عبادتِهم الذي فطرهم، وفائدةُ مجيء الكلام بطريق الكناية التّعريضية: تركُ التّصريح بنسبتِهم إلى الباطل، بإسماعِ القوم المخاطَبين الحقَّ على وجهٍ لا يزيد غضبَهم، ولا نُفْرتَهم، وهو ترك المواجهة بالتّضليل والتّصريح لهم بالنِّسبة إلى ارتكاب الباطل؛ ترغيبًا في إيمانِهم واتّباعِ المرسَلين[1]، فأوردَ الكلامَ في معرض المناصحة لنفسِه - وهو يريد مُناصحتَهم - ليتلطّف بهم في الإرشاد، ويُداريَهُم، وليكونَ أسرعَ قَبولًا، ولأنّه أدْخَلُ في إمحاضِ النُّصح، حيث لا يريد لهم إلّا ما يريد لنفسِه وروحِه، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، ولولا أنّه قصد ذلك لقال: (الذي فطرني، وإليه أرجع)[2].

أو يُقال: إنّه أضاف الفَطْرَ إلى نَفْسِه لِأَنَّ الخلقَ والإيجادَ نِعْمَةٌ منَ اللّه تعالى توجِبُ الشُّكْرَ، والشّكرُ يقتضي إفرادَ اللّه تعالى الذي فطره بالعبادة، وأضاف البَعثَ إليهم فقال ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ لِأَنَّ ذلك وعيدٌ يقْتَضي الزَّجرَ، والمُراد تقريعُهم على تركهم عبادةَ خالقهم إلى عبادة غيره، فأضاف ما يقتضي الشّكرَ لنفسه؛ لأنَّه أليقُ بإيمانه، وما يقتضي الزّجرَ إليهم؛ لأنّه أليقُ بكفرهم، فكان إضافَةُ النِّعمةِ إلى نَفسِه أَظهَرَ شُكرًا، وإضافَةُ البَعثِ إلى الكافِرِ أَبْلَغَ أَثَرًا[3].

وذهب بعضُ المفسّرين إلى أنَّ الآية جَرَتْ على طريق الاحتباك، وبيانُه أنّ تقدير الكلام: (وما لي لا أعبد الذي فطرني، وإليه أرجع، وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، وإليه ترجعون) فحُذف (وإليه أرجع) أوّلًا، لِما دلَّ عليه ثانيًا، وحذف إنكارَه عليهم ثانيًا لِما دلَّ عليه أوّلًا مِن إنكاره على نفسه، ونكتةُ الحذف: استجلابُ قلوبِهم، بإظهار الإنصاف، والبُعْدِ عنِ التّصريح بالخلاف[4]، فيكونُ على نسَق الوجه الأوّل في أنَّ المقصودَ مُلاطفتُهم ومُداراتُهم.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 245، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 113.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 10، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 266، وابن عادل، اللباب: 16/ 191.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 18.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 111.

### بلاغةُ الحِجاجِ على مَعْبوديَّة الله تعالى:

حِجاجُ الرّجلِ المؤمنِ عقليٌّ مُقْنِعٌ

في التّعبير بقوله: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ احتجاجٌ على جهلِ القوم في عدم إيمانِهم، للإشارَةِ إلَى أَنَّ ألوهيَّة الله تعالى ومعبوديّتَه ظاهِرةٌ، لا خَفاءَ فيها، فَمَنْ يَمْتَنِعُ مِنْ عِبادَتِهِ يَكونُ مِنْ جانِبِهِ مانِعٌ، أي: فلمّا لم يكن مانِعٌ مِنْ جانِبي لا جَرَمَ عَبَدْتُهُ[1].

### توجيهُ المُتشابِه اللَّفظيّ:

تنوّعُ التّعبيرِ القرآنيّ لتنوُّعِ المقامِ

قالَ اللّهُ تعالى في سورة نوح: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: 13] بطريق خطاب القوم، وقال في سورة يس: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، وكلا الاستفهامين على الإنكار؛ فما وجْهُ مخاطَبةِ القوم في سورة نوح، ومخاطَبةِ النّفس في سورة يس؟ وجوابُه: أنَّ المُتكلّم في سورة نوح غَيْرُ مَدْعوٍّ، وإنَّما هوَ داعٍ، وهاهنا الرَّجُلُ مَدْعوٌّ إلَى الإيمانِ، فَقالَ: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ﴾، أي: وقد طُلِبَ مِنّي ذلك؟![2].

### دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

عبّرَ بصيغة المضارع في قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾؛ للدّلالةِ على معنى الحال والاستمرار، والمعنى: إنكارُ تركِ عبادتِه تعالى حالًا ومآلًا.

### بلاغةُ التّعبيرِ بالموصولِ وصلتِه:

التَّعريفُ باللهِ موجبٌ لعبادته والاعترافِ بحقوقه

لم يقلِ الرّجلُ المؤمنُ: (وما لي لا أعبد الله) بذكر الاسم الجليل، بل قال: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ بذِكْر الموصولِ وصلتِه؛ وذلك للإشعار بوجْهِ بناءِ الحُكم، وذكرِ السّببِ الدّاعي إلى عبادة الله تعالى، أي: لأنَّه فطرني وجبَتْ عبادتُه عليَّ، ووجَب إفرادُه بالعبادة؛ لأنَّ فاطرَ العبادِ وجميعِ المخلوقات واحدٌ لا شريكَ له، وأحدٌ لا يتجزَّأ.

أو يُقال: ذِكْرُ الموصول وصلتِه إشارةٌ إلى المقتضي الذي أوجب عبادتَه سبحانه؛ فَإنَّ قَوله: ﴿وَمَالِيَ﴾ إشارةٌ إلى عدم المانعِ، ولا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.

يكفي عدمُ المانع لوجود الفعل ما لم يوجَدِ المُقتَضي، فقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يُنبِئُ عن الاقتضاءِ؛ فَإنَّ الفاطر ابتداءً مالِكٌ، والمالِكُ يَجِبُ على المملوكِ تَعظيمُهُ، كما أنَّ الفاطرَ مُنْعِمٌ بالإيجادِ، فيَجِبُ على المُنعَمِ عليه شُكرُ نِعمَةِ المنعِم، باتّباع أوامرِه[1].

### نُكتةُ تقديمِ عدمِ المانعِ على المُقتضي:

عـــدمُ المـانـعِ تخليةٌ، والمقتضي تحليةٌ

قَدَّمَ الرَّجلُ المؤمنُ بَيانَ عَدَمِ المانعِ في قوله: ﴿وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ﴾ على بَيانِ وجودِ المقتضي في قولِه ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، مَعَ أَنَّ المُستَحسَنَ في الحِجاج تَقْديمُ المقتضي حَيْثُ وُجِدَ المُقْتَضي ولا مانِعَ، فكان الظّاهر أن يُقال مثلًا: (هو الذي فطرني فما لي لا أعبده؟)، وسببُ تقديمِ عدمِ المانع هو أنَّ المقتضي لِظُهورِهِ ووضوحِه كانَ مُستَغنيًا عنِ البَيانِ رَأْسًا، فَلا أَقَلَّ مِن تَقديمِ ما هو أَوْلى بالبَيانِ، لوجود الحاجة إليه، وانصبابِ الغرض عليه، وهو بيانُ عدمِ المانع مِن عبادة الله تعالى، وليرجعَ القومُ إلى أنفسِهم؛ فيَعتبروا، ويُؤمنوا[2].

### فائدةُ الواوِ:

اللـهُ هـوَ الـذي بيدِه أمْرُ الخَلْقِ

تفيد الواوُ في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العطفَ على صلة الموصول الأولى، والتّقديرُ: (وما لي لا أعبد الذي فطرني، والذي إليه ترجعون)، فيكون قولُه: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مِن تمام بيانِ سببِ استحقاقِه تعالى العبادةَ؛ إذ إنَّ قوله: ﴿فَطَرَنِى﴾ يُشير إلى أنَّ مبدأكم منه تعالى، وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يُبَيّن أنَّ مرجعَكم إليه تعالى؛ فاستعِدّوا لِلقاءِ مَن مِنه مبدأُكم وإليه مرجعُكم بإفرادِه تعالى بالعبادة[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 114.

### بلاغةُ تقديمِ (إليه) على ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

قدِّمَ (إلَيهِ) على الفعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾ للعناية والاهتمام على وجه التّخصيصِ بمعنى: (إليه ترجعون، لا إلى أحدٍ سواهُ، لا استقلالًا، ولا اشتراكًا، فيُجازيكم على أعمالِكم)، وفي التّقديم رعايةُ الفاصلة ورُؤوسِ الآي.

اخـتـصـاصُـه تعالى بالرّجوع إليه دليلٌ على اخـتـصـاصـه بالعبادة

### دلالةُ عوْدِ الضّمير:

يعود الضّميرُ في قوله ﴿وَإِلَيْهِ﴾ إلى الاسم الموصول مع صلتِه في قوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، أي: (وإلى الذي فطركم تُرجعون)، ففيه تذكيرٌ بالمبدأ والمعاد، وفيه استدلالٌ لطيفٌ؛ فالذي قدَر على المبدأ قادرٌ على الإعادة.

الـضّـمـائـرُ مِـن بـوّابـاتِ الإيجازِ البيانيّ

### بلاغةُ التّعريضِ:

جاء قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على طريق التّعريض على معنى المبالغة في تهديدهم، وتقريعِهم، بطريق الرّمز والإشارة؛ أي: (تُرجعون إلى الذي فطركم بالموتِ والبعثِ، فتُعاقبون أشدَّ العقوبة إنْ بقيتُم على الشّرك)[1]، فالمُعرَّضُ به هو عقوبتُهم على كفرهم وإصرارِهم عليه.

الـرّجـلُ المـؤمـنُ رحيمٌ بقومِه

### مِن خصوصيّات قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

إذا كان الرّجلُ المؤمن قد أضاف ما يقتضي الشُّكرَ لنفسه؛ لأنَّه أليقُ بإيمانه؛ فقال: ﴿وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: فإنّه أضاف الرّجوعَ إلى الله إلى القوم الكافرينَ؛ لأنَّ المُضافَ وعيدٌ يقتضي الزَّجْرَ، وإضافَةُ البَعْثِ إلى الكافرِ أَبْلَغُ أَثَرًا[2]، والمرادُ تقريعُهم على تركهم عبادةَ خالقِهم إلى عبادة غيره، وإذا كان حالُ العبدِ في الآخرة دائرًا بينَ الثّواب والعقابِ، كان في قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ جمعٌ بينَ الخوفِ والرّجاءِ، وهذا ما ينبغي أنْ يكون عليه العبدُ في الدّنيا[3].

الخوفُ والرّجاءُ قُطْبا العبادةِ

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 245، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 114.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 18.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 264.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»